مفهوم لسانيات التراث في النقد اللساني العربي

دراسة نقدية في المفهوم و كفايته العلمية

The concept of heritage linguistics in Arabic linguistic criticism
A critical study on the concept and its scientific adequacy

يوسف تته[1]، عبد الناصر بن بناجي[2]

مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلمية في الجزائر

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله-تيبازة (الجزائر)، teta.youcef@cu-tipaza.dz

[2]المركز الجامعي مرسلي عبد الله-تيبازة (الجزائر)، benbennadji.abdenacer@cu-tipaza.dz

الاستلام: 26- 06-2023 القبول: 01-10-2023

ملخص: تحاول هذه الورقة البحثية تقديم رؤية نقدية منهجية في مفهوم مركزي من مفاهيم النقد اللساني العربي، وهو مفهوم لسانيات التراث، فبعد تقديم لمحة موجزة عن النقد اللساني العربي تتجه نحو عرض تصور واضع المفهوم مصطفى غلفان لما يسميه بلسانيات التراث واتجاهاتها ونماذجها ومساءلته المنهجية لها مع مناقشته في كل واحدة من ذلك، ثم تسعى إلى استجلاء المحددات المعرفية واللسانية التي تحكمت في صياغته لهذا المفهوم وذلك من خلال تتبع مجمل أعماله، كما تحاول بيان ما في هذه المحددات من ضعف و قصور، ثم ترصد انتشار وامتداد مفهوم لسانيات التراث في النقد اللساني العربي وما كان لهذا التوسع من آثار وانعكاسات.

كلمات مفتاحية: لسانيات التراث، النقد اللساني، التراث اللغوي العربي، اللسانيات العربية، مصطفى غلفان.

Abstract: This research paper attempts to provide a critical and methodological presentation on one of the most important concepts in Arabic linguistic criticism, which is the concept of heritage linguistics. It gives an overview of Arabic linguistic criticism, Then it presents Mostafa Gelfane's conception of this concept in terms of definition, trends and approach, then deduces the epistemological and linguistic foundations that formed this concept, then presents its development and impact on modern Arabic linguistics.

Keywords: heritage linguistics; linguistic criticism; Arabic Linguistic Tradition; Arabic linguistics; Mostafa Gelfane.

المؤلف المراسل: يوسف تته، **الإيميل**: teta.youcef@cu-tipaza.dz

1. مقدمة:

لا يصل أي مجال بحثي إلى مستوى الخطاب العلمي إلا إذا استطاع إنشاء مفاهيمه الخاصة به إنشاء موفيا بشروط صناعة المفهوم أولا، ثم ربط بعضها مع بعض حتى تشكل نسقا محكما ثانيا، ومن جماع هاتين العمليتين يتكون الجهاز المفاهيمي الذي يقوم عليه هذا العلم أو ذاك، ولهذا أصبح أول ما تتوجه إليه عناية الدراسة النقدية للعلوم هو فحص المفاهيم وضبطها فستبعد بعض المفاهيم المغلوطة وتقترح مفاهيم جديدة وتدقق في مفاهيم أخرى بتخليصها مما يعلق بها من دلالات غير مقصودة وما يرتبط بها من معان غير مرغوبة.

ومن المجالات البحثية الناشئة في الدرس اللساني العربي الحديث ما يعرف بالنقد اللساني العربي والذي يروم أن يكون خطابا علميا نقديا للسانيات العربية الحديثة بمختلف اتجاهاتها ونماذجها من خلال البحث في الأصول المعرفية التي قامت عليها والمناهج العلمية التي استثمرتها والمفاهيم التي توسلت بها لمقاربة الظواهر التي تدرسها، ولتحقيق هذه الغاية طور أصحاب النقد اللساني جملة من المفاهيم يأتي في مقدمتها مفهوم لسانيات التراث، والذي أصبح أحد أهم المفاهيم الأساسية التي تشكل رؤية الباحث العربي للسانيات العربية تاريخا وموضوعا ومنهجا، وللتعرف أكثر على طبيعة وماهية هذا المفهوم نطرح الاشكالية الآتية : ما هو مفهوم لسانيات التراث؟ و ماهي الأسس المعرفية واللسانية التي انبنى عليها؟ و ما مدى نجاعته في تحديد وضبط الكتابات اللسانية العربية الحديثة المتعلقة بالتراث؟

2. الخطاب النقدي اللساني العربي:

حققت اللسانيات العربية طوال تاريخها الذي جاوز العقد الثامن تراكما معرفيا لا يستهان به إذ استطاعت كسر طوق التقليد للتراث العربي و تجاوز طور التلقي السلبي للمنجز اللساني الغربي مما مكّنها من أن تشكل خطابا لسانيا خاصا له سماته المميزة وغايته و إشكالاته التي لا يشاركه فيها أي خطاب أخر.

ولما كان كل خطاب علمي محتاجا إلى خطاب نقدي مواز يفحص أصوله ويمحص مناهجه ويكشف قيمته فقد ظهر نمط خاص من أنماط الكتابة اللسانية هو ما عرف باسم النقد اللساني العربي، والمقصود به مجموع الكتابات التي تسعى إلى تقديم مقاربة علمية متماسكة للخطاب اللساني العربي من حيث أصوله المعرفية ومفاهيمه واتجاهاته ونظرياته.

وقد عرفت الثقافة العربية هذا الضرب من البحث والتأليف مبكرا إذ تقريبا رافق نشأة اللسانيات العربية ولحظة ميلادها، لكنه جاء في بواكيره الأولى فطيرا لا يقوم على منهج من البحث قويم ولا على أساس من العلم صحيح إذ "لابد من الإلماح إلى أن الوعي الإبستيمي في مجال النظرية اللغوية يعاني ضمورا في بيئتنا العربية" (المسدي ع.، 2003، صفحة 15)ومع مرور الزمن وتراكم التجارب والخبرات ظهر نقد لساني عربي يعتمد "على محددات نظرية ومنهجية تضمن للناقد تماسكا واضحا من خلال الربط بين المقدمات والنتائج وصياغة الأسئلة و الإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها باعتماد الانسجام والتماسك في التحليل مما يستجيب لقيد النسقية" (ملاخ، 2009، صفحة 194)

ومن أوائل من افتتح باب القول في النقد اللساني المؤسس وأنهج سبيله مصطفى غلفان في كتابه (اللسانيات العربية الحديثة دراسة في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)،والذي سعى من خلاله إلى "وضع لبنات منهجية محددة لتحليل الكتابة اللسانية العربية تحليلا موضوعيا يمكن من إبراز إمكانياتها النظرية داخل حقل اللسانيات العالمية" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998، صفحة 13) وذلك عن طريق "تقصي طبيعة الخطابات اللسانية العربية الأكثر تميزا وخصوصية تقصيا يسمح لنا بتحليل المنطلقات التي صدر عنها اللسانيون العرب في كتاباتهم والأطر النظرية التي تبنوها في مقارباتهم اللسانية، وليس الغرض من تقويم الكتابة اللسانية إصدار أحكام قيمية في حق هذه الكتابة أو تلك سلبا أو إيجابا" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998، صفحة 13) وقد تلقى جمع من الباحثين العرب هذا العمل بقبول حسن حتى أنه لا يكاد يخلو بحث أو دراسة ذات صلة بمسار اللسانيات العربية واتجاهاتها من الإشارة والعودة إليه، ولا تعود قيمة عمل غلفان لإرسائه أسس واضحة المعالم

للممارسة النقدية في الحقل اللساني فحسب بل لأنه حاول تطوير مفاهيم خاصة بالنقد اللساني غير مستعارة من أي علم من العلوم يتصدرها –من دون شك–مفهوم لسانيات التراث.

3. لسانيات التراث :المصطلح والمفهوم.

لسانيات التراث عند مصطفى غلفان هي "الممارسة اللغوية التي تستهدف دراسة الفكر اللغوي من حيث إنه تصورات ومفاهيم وطرائق تحليل في ضوء النظريات اللسانية الحديثة" (غلفان، 2003، صفحة 65)، أو هي ذلك النمط من الكتابة اللسانية الذي "يتخذ من التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراسته أما المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يعرف بمنهج القراءة أو إعادة القراءة ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصورات اللغوية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية" (غلفان، 2003، صفحة 62)، ومنه يتبين أن لسانيات التراث عند غلفان هي مجموع الأعمال التي درست التراث اللغوي العربي من وجهة نظر لسانية حديثة وليست هي التراث العربي في حد ذاته، والحق أن استعمال مصطلح لسانيات التراث بهذا المعنى سبب خلطا وارتباكا اصطلاحيا إذ استعمله بعض الباحثين للدلالة على التراث اللغوي العربي نفسه لا الأعمال التي توجهت إليه بالقراءة والتأويل ومنهم محمد الأوراغي حيث يقول :"تبتدئ اللسانيات التراثية تاريخيا بما ظهر من أعمال لغوية في أواخر القرن الثاني الهجري وتتمثل علميا فيما شرعه الخليل (ت175ه){كتاب العين} وأسسه تلميذه سيبويه (ت180ه){ الكتاب} وكذلك في ما أضافه الكسائي... وطوره تلميذه الفراء... وفكر هؤلاء المؤسسين للسانيات التراثية طبعه سيبويه بنموذجه النحوي الذي انفرد بالسريان في سائر الكتب التي ألفت لاحقا وعددها كبير" (الأوراغي، 2010، صفحة 24)،وليس هذا مما انفرد به الأوراغي فها هو باحث أخر يقول: "إن ما نقصده باللسانيات التراثية عادة أو اللسانيات العربية القديمة ... هي تلك الجهود العلمية التأسيسية التي قام بها الخُلص الاوائل من العلماء ورجالات العربية في مختلف ميادين البحث اللغوي" (قبايلي ، 2017، صفحة 52) ،وتبعهم في ذلك آخرون.

ويبدو لي أن لكل فريق حجة في استعماله –وإن لم يصرح بذلك–فحجة غلفان أن التراث اللغوي هو تراث لغوي ولا يجوز لنا إطلاق صفة لساني عليه، وحجة الفريق الثاني أن استعمال المصطلح بالمعنى الثاني أولى وأرجح من جهة الصياغة اللغوية للمصطلح ومن جهة أنه هو المتبادر للذهن.

وهكذا صار للمصطلح دلالتان مختلفتان تمام الاختلاف، وهو ما لا يتوافق مع أحد المبادئ الأساسية التي يلزم أن تتوفر في المصطلح العلمي المنضبط و هو أن يطابق لفظه معناه مطابقة تامة بحيث يدل المصطلح على مدلوله دلالة قاطعة لا يتطرق إليها الاحتمال وإلا أصبح المصطلح مثارا للغلط وسوء الفهم.

4. لسانيات التراث :الاتجاهات والنماذج.

تُشكل لسانيات التراث كما يتصورها مصطفى غلفان خطابا موحدا تميزه سمة مشتركة بين أصحابه هي: "سعيه إلى التوفيق بين مضامين التراث اللغوي العربي وما تقدمه اللسانيات الحديثة من نظريات ونماذج وأدوات إجرائية وطرائق تحليل، ويستعمل لسانيو التراث شتى الوسائل المعرفية لتحقيق هذا المسعى في إطار ما عرف بقراءة أو إعادة قراءة التراث" (غلفان، 2003، صفحة 184) وبرغم الاتفاق على الإطار العام والغاية الكبرى فإن" أصحاب الكتابة القرائية لا يشكلون اتجاها موحدا أو مدرسة متجانسة كليا، بل هم مجموعة من وجهات النظر والمواقف الفردية المتباينة في التعامل مع التراث اللغوي العربي" (غلفان، 2003، صفحة 184)

وبناء على هذا يرى مصطفى غلفان أنه يمكن تقسيم اتجاهات لسانيات التراث على الشكل الآتي:

1.4 من حيث الموضوع: يميز غلفان بين ثلاثة أنواع من القراءة هي:

–قراءة شمولية :ويقصد بها القراءة التي "تتمحور حول التراث اللغوي في كليته وشموليته باعتباره تصورات ومصطلحات و طرائق تحليل عامة في دراسة اللغة العربية" (غلفان، 2003، صفحة 185)ومثّل لها بنموذجين هما : التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي، والنظرية اللغوية في التراث العربي لمحمد عبد العزيز عبد الدايم، و يظهر لي أنّ هذين العملين وإن اشتركا في

نظرتهم الشمولية للتراث فإن موضوعيهما مختلفان، فعمل المسدي يختص بنظرة العلماء العرب للغة كظاهرة إذ بحث عن "النظرية اللغوية عند العرب لا من حيث هي تقنيات نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية وإنما من حيث هي تنظير للظاهرة اللسانية عموما" (المسدي ع.، 2009، صفحة 47) في حين لا يهتم عمل عبد العزيز عبد الدايم بالظاهرة اللغوية في ذاتها بل اتجه إلى "استنباط النظرية اللغوية العامة في التراث اللغوي، ثم تقديم جملة واسعة من النظريات الخاصة بمختلف فروع الدرس اللغوي في التراث العربي" (عبد الدايم ، 2006، صفحة 04) وليس هذا كذاك.

-قراءة قطاعية : وهي القراءة التي تختص بدراسة مستوى من المستويات اللغوية كما جاء في التراث من منظور لساني حديث كأن "يتناول المستوى النحوي أو الصرفي أو الدلالي أو البلاغي أو علم البيان أو البديع باعتبارها مستويات تحليل تشكل في حد ذاتها نظرية محددة المعالم تقوم على مبادئ منهجية خاصة" (غلفان، 2003، صفحة 185) ومن نماذجه التي مثل بها كتاب النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج لعبده الراجحي، وكتاب نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث لنهاد الموسى، وبحث المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي لعبد الرحمن الحاج صالح، وإقحام بحث الحاج صالح في هذا الصنف لا وجه له بل هو خطأ محض، فقد بين المؤلف مضمون عمله في بدايته وبوضوح تام حيث قال : "تعرضنا في هذه الدراسة لأول مرة لتقويم النظرية اللغوية العربية التي كانت أساسا لأغلب ما يقوله سيبويه وشيوخه و لاسيما الخليل وكيفية مواصلة هذه الجهود الأصيلة في الوقت الراهن نبدأ بوصف المبادئ المنهجية التي بنيت عليها هذه النظرية وذلك بالمقارنة بين المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات الحديثة وخاصة البنوية والنحو التوليدي التحويلي وبين هذه النظرية" (الحاج صالح، 2012، صفحة 207)، ومن ثمة لا مسوغ لإدراجه ضمن هذا النمط.

-قراءة النموذج الواحد : وهي القراءة التي تختص بعلم من أعلام العربية القدماء فيدرس فكره اللغوي وطريقته في تصور ومعالجة القضايا اللغوية التي تطرق لها ومن نماذجها : نظرية الامام الجرجاني لجعفر دك الباب و التفكير الصوتي عند الخليل لحلمي خليل، وجعل حافظ اسماعيل علوي بحث الحاج صالح السابق ضمن هذا الصنف (علوي ، 2009، صفحة 138)، وليس بدقيق ولا صحيح، والنص

الذي نقلناه عن الحاج صالح آنفا كاف لبيان ذلك، ولعل ذكر الخليل في العنوان هو الذي جعله يدرج البحث في هذا النمط لكنه –في ما يبدو–لم يتنبه لكلمة مدرسة الواردة في العنوان والتي تدل على أن الحديث هنا عن مدرسة متكاملة لها أعلامها وليس الخليل إلا أحدهم وإن كان من أعلاهم مقاما وأجلهم مكانة.

2.4 من حيث الغاية: يتفق لسانيو التراث حسب غلفان في الغاية الأساسية من بحثهم وهي "إبراز قيمة التراث العربي و إعطاءه المكانة التي يستحقها ضمن الفكر اللساني الحديث" (غلفان، 2003، صفحة 186)، ومع ذلك يرى أنه يمكن تقسيم لسانيات التراث من حيث الغاية إلى:

–قراءة ممجدة :وهي القراءة السائدة والأكثر شيوعا وتقوم على إبراز الأسبقية التاريخية للتراث العربي على اللسانيات الحديثة بل و"تحيط به هالة من التقدير والإعجاب والتقديس واضعة إياه في درجة علمية أعلى من النظريات اللسانية الحديثة" (غلفان، 2003، صفحة 186) ومن نماذجها وفق غلفان كتابا عبد السلام المسدي ونهاد الموسى سالفا الذكر.

–قراءة إصلاحية :و"تستهدف تخليص النحو العربي من الشوائب والمعوقات العالقة به من تجريد وتعليل وحذف وعامل وتقدير" (غلفان، 2003، صفحة 187)، ونموذجها حسب غلفان هو كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، وحق عمل تمام حسان أن يصنف ضمن اللسانيات الوصفية العربية لا ضمن لسانيات التراث إذ إن مجال بحثه هو "اللغة العربية الفصحى بفروعها المختلفة...فيجول فيها ويأخذ من كل فرع منها ما يراه بحاجة إلى معاودة العلاج على طريقة تختلف اختلافا عظيما أو يسيرا عن الطريقة التي ارتضاها القدماء ثم ينتهي أخيرا إلى نتيجة مختلفة أيضا" (حسان ، 2009، صفحة 09) وأفصح تمام حسان عن طبيعة عمله بوضوح عندما قال "وهذا التطبيق الجيد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر(حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التواضع)أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر" (حسان ، 2009، صفحة 10)ومن هذين النصين يظهر أنه لم يكن من غايات تمام حسان تقديم قراءة إصلاحية للتراث ولا التوفيق بين اللسانيات و التراث اللغوي العربي وهو الهدف الرئيسي للسانيات التراث كما يتصورها مصطفى غلفان بل كانت غايته تجاوز التراث العربي بإعادة دراسة اللغة العربية اعتمادا على المنهج الوصفي وأن "يبدأ

عهدا جديدا في فهم العربية الفصحى مبناها ومعناها" (حسان ، 2009، صفحة 10) بعيدا عن التراث ولسانيات التراث معا.

-قراءة تفاعلية :وهي "القراءة التي تحاول إعطاء النظرية اللسانية القديمة مكانتها اللائقة بها في إطار مراحل الفكر اللغوي الإنساني لخلق نوع من التفاعل بين الفكر اللغوي العربي القديم والنظريات اللسانية الحديثة القائم على الأخذ والعطاء القرض والاقتراض بينهما" (غلفان، 2003، صفحة 187) ونموذجها هو أحمد المتوكل في بعض أعماله كتأملات في نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم ونحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني.

5.لسانيات التراث وسؤال المنهج: يسجل سؤال المنهج حضورا قويا في مجمل أعمال مصطفى غلفان، فقد أولاه عناية خاصة وجعله معيارا أساسيا من معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية وتقويمها، وفي ما يتعلق بلسانيات التراث نجده يرى أنها محكومة بمنهجين اثنين هما:

1.5منهج القراءة: أو ما يعرف كذلك بإعادة القراءة ويعرفه غلفان كالآتي هو: "المنهج الذي يروم تقديم تأويل جديد للتراث في ضوء اللسانيات" (غلفان، 2003، صفحة 61)، ولا يخلو اعتبار إعادة القراءة منهجا من اعتراضات، إذ إن إعادة القراءة كما درج عليها في اللسانيات العربية لا تشكل منهجا واضح المعالم بل هي رؤية عامة وتصور معرفي مبدئي يحتاج أن يتوسل بمناهج مختلفة وأدوات متنوعة حتى تضبط ممارستها.

ومهما يكن من أمر فإن مصطفى غلفان يشكك في القيمة العلمية لإعادة القراءة فهي عنده لا يمكن أن تكون خطابا علميا معتبرا كما لا يمكنها أن تخلص إلى نتائج علمية ذات قيمة إذ هي "مجرد تعبير عن تأويلات وأحاسيس تقوم على نخوة تاريخية تتغنى بمنجزات الماضي أكثر مما هي تحليلات معرفية دقيقة ترصد ما يمكن أن يستخلص معرفيا من عصارة العلاقة بين التراث واللسانيات" (غلفان، 2020، صفحة 242)،ونجمل أهم مظاهر القصور المنهجي التي يعتقد غلفان أنها تطبع القراءات المعاصرة للتراث مع مناقشتها في ما يلي:

أ-عدم استنادها إلى مقومات علمية وخطوات منهجية محددة، فتأويل نصوص التراث لا يستند إلى "أية إوليات نظرية أو منهجية كفيلة بتحديد مسافات التأويل بحيث إن قراءة التراث في ضوء اللسانيات

ومناهجها تتحول إلى مجموعة من التقديرات المقدمة في شكل حدوس وتخمينات متباينة" (غلفان، 1440هـ، صفحة 153)

والحقيقة أن إشكالية التأويل هي إشكالية عامة تعترض كل من يروم قراءة أي نص، والتراث اللغوي العربي هو في النهاية مجموعة نصوص لغوية تتضمن أقوال علمية حول اللغة العربية، وينطبق على هذه النصوص ما ينطبق على أي نص أخر، فمن نصوصه ما هو ظاهر الدلالة فلا يحتاج إلى تأويل ومنها ما هو دون ذلك فيحتاج قارئه إلى الاجتهاد في تحصيل معناه باستخدام ما يراه مناسبا من مناهج وأدوات.

وقد حاول بعض اللسانين العرب تقديم تصور يضبط قراءتهم للتراث، منهم عبد الرحمن الحاج صالح في مقاله أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي (الحاج صالح ، 2011)، ومحمد صلاح الدين الشريف الذي يقول في ما يمكن أن يكون جوابا مباشرا لاعتراض غلفان: "نعم إننا نؤمن بوجوب الرجوع إلى التراث بثوابت العلم الحديث بحثا عن نظريات أخرى وتصورات علمية أخرى معتمدين على المنهج الافتراضي الاستنتاجي وما يستلزمه الافتراض من حدوس نكونها بجمع الملاحظات النظرية والمعطيات الاختبارية، وهذا أمر ضروري لا يستلزم أن نكون من صنف السلفيين أو المحافظين الذين يعتقدون أن العربية لغة خاصة لا توصف بما توصف به اللغات الأخرى " (الشريف ، الشرط والإنشاء النحوي للكون، 2002، صفحة 1187)

ب–اجتزاء النصوص وقطعها عن سياقاتها و تقويلها ما لا تقول "فالمعروف أن القراءة تعتمد أساسا تأويل النصوص واستنطاقها بعزل هذه النصوص عن سياقاتها الأصلية " (غلفان، 1440هـ، صفحة 153)ويكون الاجتزاء في أحد الجانبين الذين تسعى القراءة الى التقريب والمقارنة بينهما أو في كليهما معا، فيتم قطع نصوص من التراث عن سياقها وتحميلها ما لا تحتمل من دلالات ومعان من جهة، ويتم "عزل المفاهيم اللسانية عن السياق النظري والمنهجي الذي انبثقت منه" (غلفان، 2003، صفحة 209) من جهة أخرى.

ونجد شواهد كثيرة لمثل هذا الاقتطاع والاجتزاء في تلك الأعمال التي انتدبت نفسها للبحث عن أصول بنوية أو توليدية أو تداولية في التراث العربي إذ إنها اقتصرت على البحث عن ما يقابل بعض

المفاهيم اللسانية الأساسية كاعتباطية العلامة أو التحويل والبنية العميقة والبنية السطحية أو أفعال الكلام في التراث العربي معتقدة إياها كيانات منفصلة ذات ماهية خاصة وليست جزءا من بناء نظري متكامل، في حين يكاد ينعدم الاجتزاء والاقتطاع في أعمال التنظير للتراث العربي لأنها لم تكن تسعى إلى اسقاط المفاهيم الحديثة على التراث بل كانت منصرفة إلى استنباط نظريات التراث المختلفة عن تلك الشائعة في الدرس اللساني الغربي الحديث فكان بحثها بالأساس عن التمايز لا عن التشابه.

ج–لا تحدد القراءات المعاصرة المادة التي تشتغل عليها ولا منهجها ولا مرجعياتها فهي "لا تجيب بالتحديد عن ماذا نقرأ؟ وكيف نقرأ؟ وفي ضوء ماذا نقرأ؟ وهي أسئلة تبين أن القراءة لا تستند لوضع ابستيمولوجي مضبوط" (غلفان، 2003، صفحة 209) وهذا يغلب على كثير من القراءات المعاصرة، ولكنه لا يشملها جميعا فنجد بعضها قد أجاب بوضوح عن تلك الأسئلة، من ذلك عبد الرحمن الحاج صالح فقد حدد المادة المقروءة وهي النحو العربي الأصيل متمثلا في أقدم نصوصه وأعمقها بإجماع العلماء قديما وحديثا وهو كتاب سيبويه وشروحه التي وصلتنا، وقد طوّر أدوات قراءة خاصة بعمله كالمقايسة الدلالية وقسمة المواقع والإحصاء وغيرها مما هو مسطور في بداية كتاب السماع اللغوي العلمي عند العرب، وأما جواب سؤال في ضوء ماذا نقرأ فجوابه عند الحاج صالح هو في ضوء المفاهيم والأصول المجمع عليها في نظرية المعرفة الحديثة حيث يقول :"هناك أصول علمية مجمع عليها في زماننا بين جميع العلوم لا في علوم اللسان فقط فهي التي يجب أن تكون كالمحك في اختبار الصفة العلمية لأي فكرة ولأي مذهب ولأي منهج تحليل لعمومها وانطباقها على جميع المعارف لعدم الخلاف فيها" (الحاج صالح، 2007، صفحة 08) ويحذر من قراءة نصوص التراث في ضوء اللسانيات الحديثة إذ يقول :"كما أن المقصود ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة : لا نريد النظر في ما أخرجه القدامى وفي أعيننا نظارات خاصة بالعصر الذي نعيش فيه فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب" (الحاج صالح، 2007، صفحة 08)

فإن كانت تلك الأسئلة تجعل الدراسات التي تبحث في العلاقة بين التراث اللغوي واللسانيات لا تستند حسب غلفان إلى أساس نظري ومنهجي فهذه الأجوبة هي التي تجعل العلاقة ممكنة وتحدد الإطار النظري والمنهجي لعملية القراءة.

د–عدم الالتزام بشروط بناء الخطاب العلمي من جهة الكتابة والتبليغ، فيجد متتبع لسانيات التراث وفق غلفان نفسه أمام "نوع من الإنشاء الأدبي الذي يدور في حلقة مفرغة لا يعرف بالضبط نتيجة نهايتها" (غلفان، 2003، صفحة 208)، وذلك أن لسانيات التراث لما لم تتأسس على منهج محدد ولم تقم على رؤية واضحة التجأ أصحابها إلى" الكلام العام والإنشاء الصالح لكل السياقات والمقامات فهو لا يندرج ضمن ما يمكن أن نعتد به كمنهج سليم في تحليل القضايا المعرفية والتعامل معها، والعمل الأكاديمي العلمي المقبول لا يتأسس على الكلام المنمق وعلى البيان والبلاغة" (غلفان، 1440هـ، صفحة 154).

وهذا الاتهام لا يصدق إلا على نماذج قليلة وقد جاء في سياق مناقشة كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية والذي حرره عبد السلام المسدي بلغة عربية عالية رأى فيها غلفان خروجا عن اللغة العلمية المتعارف عليها، و لا يجد الباحث ما يدعم هذا القول في غالبية الأعمال التي جعلها غلفان من لسانيات التراث بل يجد –على سبيل المثال –كتاب النظرية اللغوية في التراث العربي لمحمد عبد العزيز عبد الدايم قد كُتب بطريقة استدلالية فلا ينتقل المؤلف إلى بيان النظريات الفرعية في التراث العربية إلا بعد بيان النظرية العامة التي تحكمه، ولا يبين النظرية العامة للتراث إلا بعد الفراغ من تحديد الإطار العام للتنظير العلمي أولا والمفاهيم الأساسية للتنظير اللغوي ثانيا، وكل ذلك في لغة علمية منضبطة لا يداخلها إنشاء أدبي ولا يشوبها تنميق بلاغي، وكذا الأمر في سلسة علوم اللسان عند العرب بأجزائها الأربعة لعبد الرحمن الحاج صالح، وهكذا نجد مصطفى غلفان بنى حكمه على حالة واحدة ورفعها إلى مستوى الظاهرة العامة التي تحكم ما يسميه بلسانيات التراث بأكملها.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن إعادة القراءة ليس شيئا اختص به التراث العربي بل قد طالت النصوص التأسيسية للسانيات الغربية، فالكتاب الذي اعتبر نقطة انطلاق اللسانيات الحديثة وهو

محاضرات في اللسانيات العامة لسوسير أعيد بناؤه من حيث النص وأعيدت قراءته وتأويله تأويلات متعارضة تتفق في قليل وتختلف في كثير.

2.5 منهج المقارنة: يرى مصطفى غلفان أن لسانيي التراث اعتمدوا على منهج المقارنة حيث يقول:" يمكن القول إن القراءة بمعنى إعادة النظر في فكر قديم قصد فهم وتقييم جديدين تقوم على المقارنة بين فكرين : فكر لغوي قديم وفكر لساني حديث سواء أصرح بهذه المقارنة أم لم يصرح بها" (غلفان، 2003، صفحة 188) وما تصل إليه هذه المقارنات من نتائج ليس له أي قيمة علمية عند غلفان "فالتقارب أو التشابه الذي يشار إليه بين التراث اللغوي العربي واللسانيات خارج أي إطار زمني أو سياق فكري ليس هاما في حد ذاته وليس له أية قيمة نظرية أو منهجية فهو غير مؤسس نظريا ولا يقود إلى أية نتيجة من شأنها أن تطور البحث اللساني العام أو البحث اللغوي العربي وتدفع به نحو آفاق جديدة" (غلفان، 2003، صفحة 212)، بل ولا يرى في هذه المقارنات إلا "إسقاطا مباشرا يصطاد فيه الباحث القارئ أدنى درجة من التشابه في اللفظ والمعنى موازاة مع النصوص اللسانية الحديثة" (غلفان، 2003، صفحة 221).

ومرة أخرى نجد أن ما يقوله غلفان لا ينطبق إلا على جزء من ما يسميه بلسانيات التراث، فإذا كان هذا الحكم يصدق على تلك الأعمال التي تقوم أساسا على أخذ مفهوم أو بعض المفاهيم من اللسانيات الحديثة ثم تقارنها بما يقابلها في التراث العربي فإنه لا يصدق على أعمال التنظير للتراث اللغوي العربي إطلاقا إذ أن المقارنة فيها عملية لاحقة لفعل القراءة وليست جزءا منه بمعنى أن القراءة – في صيغتها النموذجية– تكون بتحليل نصوص التراث في ذاتها ثم تحليلها في سياق إنتاجها ثانيا ومن ثمة صياغتها صياغة علمية وفق قواعد بناء النظريات المعاصرة، وأما المقارنة فهي عملية إضافية يقوم بها الباحث ليعرف موقع النموذج الذي بناه من النظريات اللسانية المتنافسة وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينه وبين هذه النظريات، والمقارنة ههنا بمثابة الاختبار لما توصل إليه من نتيجة ومحاولة لبيان ما يقدمه عمله من إضافة للسانيات العربية بل والعامة أيضا.

والبون بين هذين النوعين من المقارنة شاسع فبينما تكون قصارى غاية الأولى هي إثبات التشابه بين التراث واللسانيات فإن غاية الثانية أي أعمال التنظير اللساني للتراث هي إثبات التمايز والتغاير لا

التشابه والتقارب، يعبر الحاج صالح عن ذلك بدقة بقوله: "وأردنا أن لا تكون دراستنا للجانب الأهم من هذا التراث وهو الأصول العلمية التي **امتازت** بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها، مقطوعة الصلة عما ظهر في زماننا من النظريات العلمية في العلوم اللسانية... فحاولنا القيام بمقارنة بين ما قاله العلماء العرب القدامى وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج تحليل وما يقوله العلماء المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم كالبنوية المعاصرة الأوربية والأمريكية وكالنحو التوليدي وكنظرية الخطاب وغيرها" (الحاج صالح، 2007، صفحة 07)

ونخلص من هذا الفرق المنهجي الحاسم ومما سبق من فروق منهجية أخرى أنه لا يمكن جمع كل هذه الأعمال المختلفة تحت مفهوم واحد، فأعمال التنظير اللساني للتراث اللغوي العربي مثل أعمال الحاج صالح وعبد العزيز عبد الدايم وآخرين كمحمد الشاوش في كتابه أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية و محمد يونس علي في كتابه علم التخاطب الإسلامي وغيرها لا تنطبق عليها صفات لسانيات التراث كما تصورها وأوردها مصطفى غلفان، ومن ثمة فهي جديرة بأن تأخذ مكانها الخاص في الخطاب النقدي اللساني العربي ولا تدرج ضمن مفهوم لسانيات التراث الذي يسلبها فرادتها ويغيب كثيرا من جوانب تميزها.

6. الأسس المعرفية لمفهوم لسانيات التراث: سعى مصطفى غلفان في مختلف كتاباته إلى تقديم تحليل ابستيمولوجي دقيق وشامل للكتابة اللسانية العربية،و كانت غايته الأساسية كما صرح بها هي: "تقصي طبيعة الخطابات اللسانية العربية الأكثر تميزا وخصوصية تقصيا يسمح لنا بتحليل المنطلقات التي صدر عنها اللسانيون العرب في كتاباتهم والأطر النظرية التي تبنوها في مقارباتهم اللسانية، وليس الغرض من تقويم الكتابة اللسانية إصدار أحكام قيمية في حق هذه الكتابة أو تلك" (غلفان، 1998، صفحة 13) وقد بنى تصوره العام للسانيات العربية على قاعدة أساسية تتمثل في كون "حقيقة أزمة اللسانيات العربية أنها أزمة أسس، أي أزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالا معرفيا معينا وتحدد معالمه" (غلفان، 1998، صفحة 13)

ومن جملة العوائق التي تسببت في تأزيم وضع اللسانيات العربية –حسب غلفان–العوائق الصورية ويأتي في مقدمتها "علاقة البحث اللساني الحديث بالتراث أي بالفكر اللغوي العربي القديم وهو مجال

تندرج فيه معظم الكتابات اللغوية العربية المعاصرة" (غلفان، 2003، صفحة 120) وهو ما سماه بلسانيات التراث، والتي اختصها بفصل في باب جعل عنوانه على هامش لسانيات العربية فـ"حين تبحث لسانيات التراث في الكيفية التي تصور بها اللغويون القدماء دراسة اللغة العربية، فإنها تتناول جوانب خارجة عن بنية اللغة العربية وعن اللسانيات في ذاتها" (غلفان، 2003، صفحة 163).

ووفق رؤية غلفان ليس للتراث ولا للأعمال اللسانية المرتبطة به دور في بناء وتقدم اللسانيات العربية بل هما على العكس من ذلك يشكلان عقبة معرفية تمنع انطلاق الخطاب اللساني العربي المتخصص حيث تؤدي إعادة القراءة إلى "حضور قوي للمنظومة النحوية واللغوية القديمة بتصوراتها وتحاليلها ومفاهيمها ومصطلحاتها وتكريسها ضمنا في الأذهان واستبعاد أية محاولة تجديد ممكنة في مقاربة العربية أو إبداع محتمل فيها من منظور اللسانيات" (غلفان، 2003، صفحة 215)

ولا يخفى ما في هذا المنظور من تضييق واختزال إذ يحرم اللسانيات العربية من رافد علمي ضخم تعاقبت على تكوينه أجيال من العلماء ورجالات العربية، ويقطع عنها معينا يمدها بما ليس فيها ولا في نظيرتها الغربية من مفاهيم وأفكار وأنظار.

وإذا كان غلفان يجعل من البحث في التراث عائقا يعوق تقدم اللسانيات العربية فإن من اللسانيين العرب من تبنى منظورا مغايرا تماما، فيذهب محمد صلاح الدين الشريف إلى أن سبب عدم مواكبة اللسانيات العربية الحديثة لما هو موجود عند الغرب وعدم مشاركتها في تنمية العلم الحديث، هو "أننا كنا غائبين غير مشاركين في بناء المعرفة الحديثة، ولم يكن لنا علم ولا وعي بأهمية الأفكار المبثوثة في نصوص القدماء" (الشريف ، 1440هـ، صفحة 198)

ويؤكد على أننا ضيعنا الكثير من الفرص للمشاركة في تنمية البحث اللغوي بعدم استثمارنا لما نمتلكه من تراث في بناء نظريات تتلائم والسياق العلمي الراهن فـ"الواقع أننا طوال قرون أفرغنا مكتسباتنا التاريخية من عمقها وأبعدناها عن الممارسة الوصفية والتفسيرية، ولم نحاول أن نبني لأنفسنا معمارية واضحة لما نعني به النحو والبلاغة على أسلوب حديث وملائم بالخصوص للواقع اللساني" (الشريف ، 1440هـ، صفحة 199)

هذا؛ ومع إلزام غلفان نفسه تقويم الكتابة اللسانية العربية بدون إصدار أحكام قيمية فإنه في ما يتعلق بلسانيات التراث قد وصمها بجملة من الأحكام القيمية التبخيسية فعدها خطابا إيديولوجيا لا يمت للعلم بصلة مرة و خطابا مظللا معرفيا مرة ثانية، وخطابا متهافتا منهجيا في مرات أخرى، إن قيمة لسانيات التراث عند غلفان من جهة معرفية تتلخص في كونها "مجرد رؤية ايديولوجية تراهن على رد الاعتبار لعقل عربي تأخر كثيرا" (غلفان، 2003، صفحة 221)،وهي في ما يمكن أن نعده من قبيل التحليل الثقافي" تصفية حسابات قديمة بين الشرق والغرب" (غلفان، 1440هـ، صفحة 149) بل وهي في ما يشبه التحليل النفسي "مجرد كلام عام يجسد حوارا نرجسيا مع الذات يعبر عن رغبات مكبوتة أو الحلم بما لم يتحقق،أو نكوصا مرضيا نحو الماضي" (غلفان، 1440هـ، صفحة 126) ومن ثمة يصل–في مجموع تحليلاته وأحكامه–إلى نتيجة كبرى مفادها أن "مشروع اهتمام اللسانيات العربية بالتراث اللغوي قد وصل في اعتقدنا إلى الطريق المسدود" (غلفان، 2003، صفحة 08)

وظاهر جلي أن هذه النصوص – ولها أشباه ونظائر – لا تتضمن خروجا عن التحليل الابستيمولوجي إلى أنواع أخرى من التحليل فقط بل وتتضمن نزولا من رتبة النظر الابستيمولوجي إلى رتبة أحكام القيمة الناجزة.إن هذه الرؤية الاختزالية و الإقصائية التي قررها صاحب أسئلة المنهج لا تستند إلى اختبار الجوانب الاجرائية وهو المحك الفاصل في تقويم أي ممارسة علمية بل ترجع إلى تبنيه منظور ابستيمولوجي ضيق لا يحظى بإجماع أهل الاختصاص.

7. مفهوم لسانيات التراث :التوسع والامتداد. تكتسي المفاهيم النقدية لأي علم من العلوم أهمية خاصة حيث تساهم في تشكيل الإطار العام الذي ينظر منه الباحثون لذلك العلم ،ومن هنا خطورتها إذ إنها كما تستخدم كأداة كشف علمية يتوسل بها الباحث لتعميق معرفته بموضوع بحثه قد تتحول إلى حجاب رؤية يمنع المشتغل بالعلم من رؤية ما لا يسمح المفهوم برؤيته فيظن أن ما لا يريه إياه يقع خارج العلم وليس داخله، وكلما زاد تداول المفهوم زادت خطورته وضرره.

وفي ما يتعلق بلسانيات التراث فإنه لم يبق حكرا على صاحبه بل كُتِب له شيوعا كبيرا وانتشارا واسعا حتى صار كأنه من لوازم النقد اللساني، وفي ما يلي تتبع موجز له في بعض الأعمال:

1.7 في التلقي العربي للسانيات:خصص حافظ إسماعيلي علوي كتابه (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة) لمتابعة التلقي العربي للسانيات والذي أراد من خلاله تقديم مراجعة تُمكِننا "من استقراء السياقات التي تحكمت في توجيه تلقي اللسانيات في الثقافة العربية " (علوي ، 2009، صفحة 09)واعتبر عمله امتدادا لمشروع غلفان النقدي بالسير على نهجه وتطوير بعض جوانبه، ومما قبسه من غلفان مفهوم لسانيات التراث حيث أفرد له فصلا كاملا بيّن فيه "أهم تجليات التلقي التي ميزت هذا الاتجاه الذي يقوم عمق تصوره على وجود طرفين متقابلين: طرف أول تمثله الكتابة اللغوية التراثية ،وطرف ثان تمثله اللسانيات وتكمن غاية هذا الاتجاه في محاولة إثبات مماثلة ما أنجزه اللغويون العرب لما جدَّ في مجال البحث اللساني بل سبقهم وتفوقهم" (علوي ، 2009، صفحة 13)، ويجاري حافظ إسماعيلي علوي مصطفى غلفان في كل أحكامه، فتبقى عنده لسانيات التراث على هامش اللسانيات لا في صلبها، فالمقارنة المعتمدة في هذا الاتجاه غير مسوغة ابستيمولوجيا وعرض الأفكار يتم فيها من "دون تحليل نقدي مقارن عميق كما يقوم على إفراغ المصطلحات من محتوياتها ومضامينها الحقيقية وبذلك لا تتعدى المقارنة هنا حدود الفهم البسيط والساذج والمغلوط في كثير من السياقات" (علوي ، 2009، صفحة 407)، ولا يتجاوز دور التحليل فيها تقديم بعض الاطمئنان النفسي والمعرفي إلى أصحابه بل إنها تعكس "بعمق التناقض والفوضى التي يتخبط فيها الفكر العربي" (علوي ، 2009، صفحة 408)

وبالرغم من قيام عمل العلوي على أساس منهج القراءة والتلقي المغاير لمنهج غلفان الابستيمولوجي فإن تحليله و النتائج التي وصل إليها يتطابقان تماما مع تحليلات ونتائج غلفان مما يشكك في كون النتائج المتوصل إليها مؤسسة حقا على المنهج المتبع.

إن كتاب إسماعيلي علوي لا يخرج في أصوله وتصوره العام عن مشروع غلفان ولا يكاد يضيف إليه إلا النزر القليل حتى إنه ليمكن القول بأنه حاشية على متن غلفان.

2.7 في لسانيات النص العربية: تجاوزت اللسانيات العربية حدود الجملة نحو الدراسات النصية، وقد رافق النقد اللساني هذا التحول فتناول بعض الباحثين واقع الدراسات اللسانية النصية العربية ولعل من أهمهم خالد حميدي صبري في كتابه الموسوم بـ(اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة)،وبيّن

من البداية أن دراسته هذه تسعى لأن تكون جزءا متمما للمشروع النقدي العربي الذي دشنه غلفان وتابعه عليه إسماعيلي علوي.

ويرى خالد حميدي أن الصراع بين التراث والحداثة في الوعي العربي عموما وفي اللسانيات خصوصا قد امتد بنحو طبيعي إلى لسانيات النص وللتعبير عن الأعمال التي تجسد فيها الصراع يستعمل مفهوم لسانيات التراث ولا يأخذ المفهوم مجردا بل ينقله إلى ميدان الدراسات النصية بحمولته القيمية التي ارتبطت به، فالمقارنة بين لسانيات النص وبين مقولات التراث "مغالطة معرفية تسيء إلى تلك الجهود التراثية الشامخة أكثر مما تنفعها" (صبري، 2015، صفحة 14)، بل إن إجراء المقارنة ممتنع منهجيا "لأن المقارنة بين نظريتين مختلفتين تنتميان إلى بيئتين مختلفتين زمانا ومكانا لا تسلم من الإسقاط مهما كان منهج صاحبها بل هي الإسقاط بعينه" (صبري، 2015، صفحة 245)، ومع أن الباحثين في لسانيات النص قدموا تفسيرات مختلفة للعودة للتراث فإن الغاية كانت واحدة وهي إثبات أن علماءنا القدماء الأسبق في كل نظرية لغوية.

ويبدو أن هذه النظرة لا تنهض على تحليل معمق لمتن لسانيات النص العربية و لا تستند إلى تتبع لطرائق الباحثين العرب في استكشاف الأبعاد النصية في التراث العربي بل هي نتيجة لإسقاط مفهوم لسانيات التراث، فلم ير الباحث خالد حميد صبري في اللسانيات النصية العربية إلا ما يفرضه عليه هذا المفهوم من تصورات وأحكام.

3.7 في اللسانيات الاجتماعية : لم ينحصر استعمال مفهوم لسانيات التراث في نقد الأعمال المعنية بتحليل اللغة كنسق سواء توقفت عند حدود الجملة أو تجاوزتها نحو آفاق النص بل استعمل أيضا في نقد الأعمال التي تناولت اللغة في سياقها الاجتماعي، ومن نماذج ذلك وروده في دراسة حسن كزار الموسومة بـ (اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات) حيث استثمره الباحث في دراسة ذلك النمط من الكتابات اللسانية الاجتماعية التي رجع فيها أصحابها للتراث العربي، فيرى "أن مقاربات لسانيي التراث في حقل اللسانيات الاجتماعية كانت تهدف إلى إثبات السبق للتراث العربي" (كزار، 2018، صفحة 181)

ويُسقط حسن كزار كل أراء وأحكام غلفان على لسانيات التراث في اللسانيات العربية على اللسانيات الاجتماعية العربية، فالتراث – وفقا له – عائق منع اللسانيات الاجتماعية من التقدم وليس رافدا فقد "كان توجيه البحث نحو التراث في الدراسات اللسانية العربية عموما واللسانيات الاجتماعية على وجه أخص سببا في قصور المجالات البحثية في هذا الفرع اللغوي مقارنة بنظيره الغربي" (كزار، 2018، صفحة 182).

وهكذا نرى جملة من الباحثين قد تبنوا مفهوم لسانيات التراث وأدرجوه في بحوثهم ومقالاتهم من دون مساءلة لأسسه المعرفية ولا تمحيص، كما وجدوا فيه قالبا جاهزا يغنيهم عن مشقة قراءة النصوص والتعمق في تحليلها واستنباط ما تتضمنه من تصورات ورؤى، فصار الدارس منهم يكتفي بالبحث في الأعمال التي يتناولها بالنقد عن ما يتوافق مع هذا القالب من الشواهد والنصوص وإن كانت أقلها دلالة عن مذهب صاحبها وينبذ ما سواها وإن كانت أظهر دلالة عن مقصود قائلها.

هذا؛ وامتاز بعض الباحثين بوعي منهجي جعلهم لا يطمئنون للنتائج التي توصلت إليها التجربة النقدية العربية ولا للمنطلقات التي قامت عليها فهي "لا تعطي صورة واضحة لواقع للسانيات العربية الحديثة فيجد القارئ نفسه غير مطمئن لهذه النتائج، شاكا في الأسس التي انتهجتها لتقييم الأبحاث اللسانية العربية" (بناجي، 2016).

8.خاتمة: بعد هذا العرض المقتضب والمناقشة المختصرة تخلص هذه الورقة إلى تسجيل النتائج الآتية:

–مفهوم لسانيات التراث في مقصود واضعه مصطفى غلفان هو مجموع الأعمال التي تناولت التراث من وجهة نظر لسانية حديثة، أو هو تلك الممارسة اللغوية التي تستهدف دراسة الفكر اللغوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، واستخدم باحثون آخرون مصطلح لسانيات التراث بمعنى التراث اللغوي في ذاته لا الأعمال التي تناولته بالدراسة.

–قسّم غلفان لسانيات التراث إلى ثلاثة أنواع من القراءة باعتبار الموضوع وهي :قراءة شمولية، وقراءة قطاعية، وقراءة النموذج الواحد وقسمها باعتبار الغاية إلى قراءة ممجدة، وقراءة إصلاحية وقراءة تفاعلية، ومثّل لكل قراءة بنماذج ولم يخل تمثيله من ضعف وقصور.

-يرى مصطفى غلفان أن لسانيات التراث ليست لها أي قيمة علمية ولا يمكن أن تشكل خطابا علميا لأنها تقوم على منهج إعادة القراءة الذي يؤدي إلى تأويلات خيالية واجتزاء النصوص وإسقاط المفاهيم المعاصرة على القديم، وعرض البحث نماذج لأعمال لا ينطبق عليها شيء مما ذكره غلفان ومع ذلك عدها جزءا من لسانيات التراث.

-فرق البحث بين نوعين من الأعمال التي قرأت التراث اللغوي العربي، الأولى سعت إلى التوفيق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة وإثبات التشابه وهذه ينطبق عليها -في الجملة-مفهوم لسانيات التراث كما عرضه غلفان، والثانية سعت إلى استنباط النظريات اللغوية التي اشتمل عليها التراث وكانت غايتها إثبات التمايز لا التشابه، ومع ذلك عدهما غلفان شيئا واحدا وأصدر في حقهما معا حكما بعدم الأهلية العلمية وتبعه في ذلك كثيرون.

-عرف مفهوم لسانيات التراث انتشارا كبيرا في النقد اللساني العربي حيث استعمل في مجالات لسانية أخرى مثل لسانيات النص العربية واللسانيات الاجتماعية، واستعمله الدارسون دون مساءلة لأسسه المعرفية واللسانية فقد وجدوا فيه قالبا جاهزا أسقطوه على أي عمل ذي صلة بالتراث اللغوي واستغنوا به عن التعمق في قراءة النصوص وتحليلها، فوقعوا في ما اتهموا لسانيات التراث بالوقوع فيه وهو آفة الإسقاط.

وتلزم الإشارة -ختاما-إلى حاجة النقد اللساني العربي إلى مزيد من التحرج والتدقيق في وضع المفاهيم وفي استعمالها.

9. قائمة المراجع:

1-الأوراغي محمد. (2010). نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

2-بن بناجي عبد الناصر. (2016). اللسانيات العربية الحديثة المفاهيم والإجراء. الجزائر: دار الفكر العربي.

3-الحاج صالح عبد الرحمن. (2012). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. الجزائر: موفم.

4-الحاج صالح عبد الرحمن. (2007). السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر: موفم.

5-حسان تمام. (2009). اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب.

6-الشريف محمد صلاح الدين . (2002). الشرط والإنشاء النحوي للكون. تونس: جامعة منوبة.

7-صبري خالد حميد. (2015). اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة. لبنان: منشورات ضفاف.

8-عبد الدايم محمد عبد العزيز . (2006). النظرية اللغوية في التراث العربي. مصر: دار السلام.

9-علوي حافظ اسماعيلي . (2009). اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ليبيا: دار الكتاب المتحدة.
10-علوي حافظ اسماعيلي و ملاخ أحمد. (2009). قضايا إبستمولوجية في اللسانيات. الجزائر: منشورات الاختلاف.
11-غلفان مصطفى. (2003). اللسانيات العربية أسئلة المنهج. الأدرن: دار ورد.
12-غلفان مصطفى. (2006). اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين. المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس.
13-كزار حسن. (2018). اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة. لبنان: دار الرافدين.
14-المسدي عبد السلام. (2009). التفكير اللساني في الحضارة العربية. ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الأطروحات:

1-غلفان مصطفى. (1998). اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية. عين الشق، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني.
2-قبايلي عبد الغني.(2017). أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية التفسيرية عينة-أطروحة دكتوراه. كلية الآداب واللغة العربية، الجزائر: جامعة باتنة 01.

المقالات:

1-الحاج صالح عبد الرحمن . (2011). أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي (المجلد 02العدد01). تيزو وزو، الجزائر.
2-الشريف محمد صلاح الدين . (1440هـ). قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة. تأليف مجموعة مؤلفين، قراءات معاصرة لقضايا التراث اللغوي و الأدبي والبلاغي. السعودية: جامعة القصيم.
3-غلفان مصطفى. (1440هـ). التراث اللغوي العربي واللسانيات: الممكن والمستحيل. تأليف مجموعة مؤلفين، قراءات معاصرة لقضايا التراث اللغوي و الأدبي والبلاغي. السعودية.
4-غلفان مصطفى. (2020). جدل العلم وتاريخه اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجا (المجلد 08). العراق.
5-المسدي عبد السلام. (2003). منهج اللسانيات والبدائل المعرفية-المجلة العربية للعلوم الإنسانية (الإصدار 83). الكويت: جامعة الكويت.